

مقال بحثي

عبدالله عوض سالم بن فاتح

حضرموت - الشحر

738285063

(المثمون حمارالشعر الشعبي)

قد يتفاجئ القارئ من هذا العنوان ، ويتعجب من وصفي لهذا الوزن بالحمار ، وهو أحد الأوزان الأساسية في الشعر الشعبي الحضرمي ، وفي الحقيقة إن تسمية هذا الوزن بحمار الشعر ليست من عندي ، ولكنها تسمية اتفق عليها عامة علماء العروض والأوزان ، وقبل الخوض في سبب تسميته بحمار الشعر ، سنغوص قليلا في هذا البحر وسنستعرض أهم مزاياه وصفاته .

بحر المثمون عروضياً هو عبارة عن بحر الرجز المجزوء المدوّر والذي يتكون كل شطر فيه من أربع تفعيلات من (مستفعلن) ، وهو كالآتي :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

و لبحر المثمون نفس خصائص بحر الرجز لأنهما نفس الوزن وإن اختلفت تسميتهما ، وتدخل عليهما نفس الزحافات ، فمثلا يجوز في بحر المثمون أن تتغيّر تفعيلة (مستفعلن) إلى (مفاعلن ب - ب -) أو (مفتعلن - ب ب -) ومن المعروف أن بحر الرجز يخرج من دائرة الهزج (المجتلب) ، وبالتالي فإن بحر المثمون يخرج من هذه الدائرة ويكتسب خصائصها ، وكل الأوزان التي تنتج من تكرار تفعيلة (مستفعلن) تدخل ضمن الرجز والمثمون ، ولها نفس الصفات وتدخل عليها نفس الزحافات .

ويعتبر بحر المثمون من الأوزان الرئيسية في الشعر الحضرمي ، وأحد الأركان التي يقوم عليها الشعر الحضرمي بمختلف فنونه ، وقد نظم الكثير من الشعراء الحضارم مسرحات رائعة وخالدة على هذا الوزن (المسرّحه هي القصيدة الطويلة) ، مثل قصيدة الشاعر محمد بن هاوي (بوسراجين) : (1)

أبدي برب العرش لي كوّن لنا بحراً وبر

هو مقسّم الأرزاق سبحانه وبعبيده كفيل

ياواسع المدّات سالك أن تيسّر ما عسر

واشفق على عبدك لأن الحمل عاظهري ثقيل

والفي صلاة الله على احمد مابرح طاير وفر

والآل والأصحاب لي خلوا العدو يرجع ذليل

ويدخل كذلك وزن المثمون في صلب الفنون الشعرية الحضرمية ، مثل فن الشبواني ، فوزن المثمون يعتبر الوزن الرئيسي لهذا الفن ، فالشعراء يلقون مبادئهم على هذا الوزن ، (المبدأ هي القصيدة التي يقدمها الشاعر قبل التساجل) ، وأول وزن يتساجل به الشعراء في مدارة الشبواني يكون على المثمون أيضاً،

مثل قول الشاعر باحريز في قصيدته المشهوره :

باء سين بسم الله باتوسّل وبسأله الورع

من سكرة الدنيا وكشف الحال في يوم الحساب

والموت مامنه مفر كل من طغى قله رجع

وان ما رجع حسبه إذا ما استدرك التوبه وتاب

يتزوّد الإنسان مادام الحياه فيها وسع

يخرج من الدنيا على سنة محمد والكتاب

كذلك فإن المثمون بمختلف أضربه له نصيب الأسد في الزوامل الحضرمية ، مثل الزامل الثقيل الذي وزنه كالآتي :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

مثل قول الشاعر بوروَت : (1)

أنا إذا تحوّشت بادحرج جبل

وجبال سوداء با نحت بوها نحيت

على خزاهم ذي يرضّون الجفل

ذي موّتونا أمس والليله حييت

أو :

مستفعلن مستفعلن مستفعل

مستفعلن مستفعلن مستفعل

مثل قول الشاعر :

قال الكثيري بن عمر بن جعفر

لا ناد راسي يا الشوامخ نودي

الشحر خذناها وربّك قدّر

وعلى المكلا باتحنّ رعودي

أو يكون على وزن الزامل الخفيف :

مستفعلن مستفعلاتن

مستفعلن مستفعلاتن

مثل قول الشاعر :

لا قد عزمتم عالقناصه

باشلّ فوق الكتف آلي

وبانجيب الوعل لسود

مول التقارين الجلالي

كذلك فإن بحر المثمون وتكرار تفعيلة (مستفعلن) يعد شائعاً كثيراً في فصول وأبيات الدان الحضرمي ، وتقريبا سبعين في المية - إن لم يكن أكثر - من أصوات الدان الحضرمي تقوم على وزن المثمون ، وتدخل على هذه الفصول نفس الزحافات التي تدخل على المثمون .

ونذكر على سبيل الذكر لا الحصر ، هذه الأصوات : (2)

1- (من عاب في صاحبه ما له عذر ماترديه الأيام)

2- (ياحول والشاره أنا قدنا نخايلها من البارح)

3- (ذا فصل يا الدار المنوّر)

4- (يقول بن هاشم بكت لعيان دم واحتن قلبي)

5- (يا ليلة النور نسنس لاتحاذر)

6- (قال الفتى مستور نومي من عيوني زال ياخلّي)

7 - (ادعوا ونابدعي يزين الوقت لاقدّر كريم)

8- (أبديت بك يا با الكرم ياسامع النادي)

خصائص وصفات الرجز (المثمون) :

1- سهولة النظم عليه لكثرة التغييرات والزحافات الداخلة على تفعيلاته ، وهو أقرب للنثر من الشعر ، لذلك نظم عليه الكثير من العلماء متونهم في الفقه والنحو والطب .. .

2- نشأ من البيئة البدوية ، يقول جرجي زيدان (انظر كتاب عروض الخليل صفحة 121) (3) عن بحر الرجز :

(بتوقيعه على على مقاطعه مشي الهوينا ، ولو ركبت ناقة ومشت بك الهوينا لرأيت مشيها يشبه هذا الوزن تماما ، وكان العرب يجدونها به إذا أرادوا سيرها به وتيدا ، وربما كان شاعرهم عاشقا فيتذكر حبيبته وهو يسوق الناقة ، فيحدوها بأبيات على وزن الرجز) انتهى كلامه .

من هذا نستنتج أن بحر الرجز نشأ وناسب أصحاب البادية الذين يركبون على الدواب ، ومن الملاحظ أن بيئة وادي حضرموت هي من حيث ركوب الدواب أكثر انتشارا من أهل الساحل ، لذلك وافق لديهم المثمون (الرجز) واستحسنوه وأكثروا منه ، ومن المعروف أن الدواب تمشي دائما على نفس الرتابة والإيقاع ، لذلك فإن الرجز (المثمون) له تكرار نفس التفعيلات دون تغيير ، بينما أهل الساحل قد يكون احتكاكهم بالبحر سواء كان ركوباً عليه أو مراقبةً له ، جعلهم هذا يفضلون الأوزان التي تكون موسيقاها مثل أمواج البحر طلوعاً ونزولاً ، لذلك اكثروا من الأوزان التي تتكرر فيها التفعيلات المتنوعه ، مثل :

فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن (مربوع)

مفاعيلن فعولن مفاعلين فعولن (فرخ مسدوس)

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن (وزن قبلي يستخدم كثيرا عند شعراء سيبان)

والكثير من الأوزان التي تتكرر تفعيلاتها على هذا المنوال ، حيث تتكرر تفعيلتان وتكون بينهما تفعيلة مختلفة ، وهكذا دواليك حسب ما هو مبين سابقا ، فيخلق لنا هذا موسيقى تشبه أمواج البحر طلوعا ونزولا .

3- لم يعتبره الكثير من النقاد القدامى والحديثين من الشعر ، لسهولة نظمه ، حتى النبي صلى الله عليه وسلم

، وهو المنزه عن الشعر له مقولة في غزوة حنين ، على وزن الرجز يقول فيها :

(أنا النبي لاكذب أنا ابن عبدالمطلب)

(مفاعلن مفاعلن مفاعلن مستفعلن)

4- أكثر الشعراء من استخدام الرجز قديما ، وبالمقابل كذلك أكثر شعراء وادي حضرموت الشعبيين من استخدام (المثمون) ،ولكن كبارالشعراء ابتعدوا عن الرجز لسهولته ، ولإمكانية أن ينظم عليه غير الشعراء .

هل يصح أن نسمي المثمون بحمار الشعر ؟

بما أن بحر المثمون يقابل بحر الرجز في الشعر الفصيح ، فإن ماينطبق على بحر الرجز من صفات وخصائص ينطبق كذلك على بحر المثمون ، وقد أطلق العروضيون على بحر الرجز بحمار الشعر ، لسهولة النظم عليه ، كالحمار سهل المركب ، خفيف الملجم ، يقول الباحث اللغوي (إميل بديع يعقوب) في كتابه (المعجم المفصل) عن بحر الرجز (صفحة 87) :

(الرجز أسهل البحور الشعرية نظرا إلى كثرة التغييرات المألوفة ، والتنوع الذي ينتاب أعاريضه وضروبه ، ولذلك سمّي ب(حمار الشعر) أو (حمار الشعراء) يركبونه وخاصة في الارتجال والقول والبديهة ، أو في الشعر التعليمي ، أو في نظم العلوم المختلفة) (4)

كذلك يقول عن بحر الرجز :

(وبعض العروضيين يجعل الرجز سجعاً لا شعراً ، وعامة النقاد يجعلونه أحط رتبة من الشعر حتى أن أبا العلاء المعري يجعل للرجّاز في رسالة الغفران جنة أدنى مرتبة من الجنة الأصيلة ، وقال الفرزدق :

(إني لأرى طرقة الرجز ، ولكن أرفع نفسي عنه)) انتهى .

وفي كتاب (عروض الخليل) يقول الكاتب (الدكتور غازي يموت) (صفحة 121) عن بحر الرجز :

(والرجز يسمى حمار الشعر وهو أقرب الأوزان الشعرية إلى النثر ، وأكثر تعرضاً للتحوير والتغيير . ويؤكد البستاني هذه التسمية فيقول :

(والرجز ويسمونه حمار الشعر وأولى أن يسموه عالم الشعر لأنه ، لسهولة نظمه ، وقع عليه اختيار جميع العلماء الذين نظموا المتون العلمية كالنحو والفقه والمنطق والطب فهو أسهل البحور في النظم لكنه يقصر عنها جميعا في إيقاظ المشاعر وإثارة العواطف ، ويجود في وصف الوقائع وإيراد الأمثال والحكم)

انتهى

يقول الكاتب (الأستاذ الدكتور محمد علي سلطاني) في كتاب (المختار من علوم البلاغة والعروض) (صفحة 236)

(وهو أكثر بحور الشعر طروقا من قبل الشعراء، وذلك لسهولته من جهة ، ولكثرة حالاته وجوازاته من جهة أخرى ، حتى أن العرب تسميه حمار الشعر ، فقد كان أنيسهم في أسفارهم ، يحدون به تسلية للركب ، وحفاظا

على نشاط الرواجل) . (5)

إذن هل نطلق مصطلح شاعر على من ينظم بالمثمون فقط ومايخرج منه من الزوامل والدان الحضرمي ؟

بما أن بحر المثمون هو نفسه بحر الرجز ، له ما له وعليه ما عليه ، وبما أن العرب لم تسمي من ينظم على الرجز بشاعر وإنما بالراجز ، بالتالي فإن الشاعر الشعبي الذي لاينظم إلا على المثمون وإن كان غزير الانتاج ، فلا نطلق عليه شاعرا مالم ينتج كذلك في البحور الأخرى ، والأولى أن نسميه (متهجّس) أو (شاعر أقل رتبة) من الشاعر الذي ينظم على أغلب الأوزان .

ومن هذا المقال البحثي البسيط عن بحر المثمون الشعبي نخرج بهذه النتائج والتوصيات :

1- المثمون وما خرج منه من أوزان الزوامل والدان ، يعتبر أبسط الأوزان الشعبية ، ومن السهل أن ينظم عليه غير الشعراء ، لذلك وجب عدم إطلاق لفظ (شاعر) على من ينظم بالمثمون فقط .

2- وزن المثمون يقابل بحر الرجز ، لذلك فهو يعتبر مثله حمارا للشعر ، ووجب على الشاعر ألا يكثر منه حتى لايفقد هيبة الشعر ووقاره ، فمن يركب الحمار ليس كمن يركب الخيل .

3- بما إن كثير من فنون الشعر الحضرمي تعتمد على المثمون خاصة في وادي حضرموت ، وبما أن المثمون (الرجز) ، يعتبر من أسهل الأوزان وأقربها للنثر ، وجب على المهتمين بالتراث الحضرمي من شعراء ونقاد وأدباء ، أن يسعوا قدر الإمكان إلى التقليل من هذا الوزن ، وإتاحة الفرصة للأوزان الشعبية الأخرى الأكثر موسيقى والأطرب إيقاعا ، مثل : المربوع ، والقبلي ، والمسدوس ، وغيرها ، مثلما هو حاصل في الشعر النبطي الخليجي المتميز بأوزانه المتناغمة والجميلة ، مما أتاح للشعراء أن يبدعوا وتتسع آفاقهم ، و ينقلوا تجاربهم ومشاعرهم بصورة صادقة معبرة ، عكس المثمون الذي لايصلح لإظهار مافي النفس من مشاعر واختلاجات ، وإنما يصلح لسرد الحوادث والوقائع وطرح الحقائق والنصائح ، لذلك فهو ينفع كثيرا لمبادئ الشبواني التي تعتمد على هذه الأغراض .

والوزن الأكثر شيوعا وانتشارا في الشعر الخليجي هو الطويل المخروم ، أو مايسمى عندهم بالمسحوب ، وتفاعيله كالآتي :

عولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

أو

عولن مفاعيلن فعولن فعولن

إضافة إلى بحور أخرى متنوعة الموسيقى ، بينما يحتل الرجز (المثمون) المرتبة الأقل استخداما ويسمونه (الحداء) ، مثل قول الشاعر على وزن الحداء (أو المثمون) :

ماخذ معه حزن الليالي من بقايا أمس راح

ماخذ معه حزن الوحيده الخايفه من آخره

وليس معنى ذلك أن وزن (الحداء أو الرجز) مهمل ومنبوذ ، وإنما صدارته في الشعر الخليجي أقل شيوعاً من وزن المسحوب ، عكس الشعر الحضرمي الذي احتل فيه (المثمون أو الرجز) الرتبة الأولى في الأوزان خاصة في وادي حضرموت ، ولاننسى قصيدة الشاعر الكبير حامد زيد المسماة بالجمهرة ، والتي نظمها على وزن الحداء (أو المثمون حسب التسمية عندنا) ، التي يقول في مطلعها :

إي بالله أخطو والخطا اللي جابهم عين الصواب

مبطي ونا شوف الطمع يكشف زادهم واستره

ما يملي عيون الحسود بها الزمن إلا التراب

ومن لا يتوب من الخطا تحرم عليه المعذره

كاتب المقال البحثي :

عبدالله عوض سالم بن فاتح

الشحر - حضرموت

2018 م

هوامش ومصادر البحث :

1) الشاعر بوروّت ، وهو الشاعر عبيّد عوض علي بن فاتح (1935- 1983 م) شقيق الشاعر محمد بن عوض الحبّاني (بوناصر) .

2) من كتاب المحضار في مساجلات الدان ،

3) عروض الخليل ، غاري يموت ، ص 121

4) المعجم المفصل ، إميل بديع يعقوب ، ص 87

5) كتاب المختار من علوم البلاغة والعروض ، الدكتور محمد علي سلطاني ، ص 236